التطور اللغوي

د مباركة خمقاني
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

Résumé :

La langue c'est un fait social et humain, soumit à l'évolution linguistique à travers les sons, structures et lexicographe, malgré que les linguistes ne donnent pas l'importance à cet affaire, mais ils s'intéressent à l'étude de la matière linguistique en soi.

L'évolution peut être positive comme négative, ce que l'on constate dans l'apparition des erreurs en langue comme la mélodie à titre d'exemple, nous trouvons des indications claires dans l'ouvrage « la mélodie publique » LAHNE EL AMA, les auteurs sont intéressés à la collection et le recensement des erreurs fréquentes dans le discours des gens au niveau phonique, sémantique, lexicographique. Les linguistes essaient de chercher les causes de ce changement dans tous les niveaux de langue.

الملخص:

اللغة ظاهرة إنسانية واجتماعية تخضع للتطور اللغوي في أصواتها، وتراكيبها، ومعجمها، رغم أن علماء اللغة القدامى لم يهتموا بهذا الأمر كثيرا، وإنما اهتموا بالمادة اللغوية في حد ذاتها، بجمعها ودراستها.

فالتطور قد يكون إيجابي كما قد يكون سلبي وهذا مانجده في ظهور أخطاء في اللغة كاللحن مثلا، فنجد إشارات واضحة عن ذلك في كتب" لحن العامة" ، حيث اهتم المؤلفون بجمع وإحصاء الأخطاء الشائعة على ألسنة العوام في زمانهم في المجال الصوتي، والصرفي، والدلالي، والنحوي، والمعجمي، وحاول علماء اللغة المحدثين البحث عن أسباب هذه التغيرات في كل مستويات اللغة.

اللغة أخطر الظواهر الإنسانية على الإطلاق، كما أنها محل عناية وموضع إتمام فهي لا تسير على نحو من المصادفة المطلقة، ولا تخبط في تنقلها على ألسنة الناس خبط عشواء، بل يحكمها في هذا وذاك قوانين تكاد ترتقي إلى مكانة القوانين الطبيعية ثباتا وقوة.

فاللغة كائن حي، لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها وهم من الأحياء فهي تتطور وتتغير بفعل الزمان كما يتطور الكائن الحي ويتغير وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفراده، كما تتطور بتطور المجتمع.

وبالنظر إلى أنَّ فكرة التطور نقطة ارتكاز تقوم عليها الدراسة في مختلف فروع العلم، يمكننا أن نفترض أن اللغة في تطور مستمر يتنازعها فيه عاملان متناقضان تجاهد اللغة في الاحتفاظ بتوازنها بينهما[1]، وهذان العاملان كما يراهما دار مستيتر "A . Darmeseteter " هما[2]:

أ- **المحافظة:** وهي نزعة طبيعية عند المحدثين باللغة تسعى إلى الإبقاء عليها كما عرفوها في جميع أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لكي لا تتغير ولا تختلف.

ب- **التغيير:** وهو قوة تعمل على دفع اللغة نحو التطور في جميع أنظمتها وعليه تكون اللغة في صراع بينهما، فإذا تمسكت بالقديم المحافظ جمدت وتخلّفت، وإذا ما فتحت صدرها للتطور من غير حدود ضاعت شخصيتها القائمة على الانتظام، وتعرضت للتشعّب والاندثار، فالتغير لم يأت عبثا أو حشوا أو إفسادا وإنما جاء لمقابلة حاجات الناس في المجتمع الذي لا يكف عن التغير في كل مظاهر السلوك فيه[3].

ويرى أحمد محمد قدور أن الحالة السليمة للغة لا بد أن تخضع للتوازن بين هاتين القوتين كي تصل إلى نوع من التطور الهادئ الذي يرتبط بالقديم وتراثه ولا يرفض الجديد ومتطلباته.

معنى ذلك أن التطور يحدث تدريجيا حيث يقول تعالى:﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ (نوح الآية: 14) أي خلقكم حالاً بعد حالٍ، طور نطفة، وطور علقة، وطور مضغة.

1- مفهوم التطور:

لفظة التطور رغم شيوعها ليس لها حضور في كتب التراث أما في العصر الحديث فجاء في المعجم الوسيط أن التطور هو:«التغيير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها ويطلق أيضا على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو القيم السائدة»[4].

وترى نور الهدى لوشن أن مفهومه يتعلقُ بالتغييرات الطارئة على العالم، فهو«عملية تكشف عن الاتجاهات والعوامل الخارجية والداخلية للظواهر، وتؤدي إلى ظهور الجديد، فالواقع لا تبقى ظواهره على حالة واحدة ثابتة وإنما قَدَرُ هذه الظواهر أن تهُبَّ عليها رياح التبديل والتغيير»[5].

وعرّف إبراهيم السامرائي هذه الظاهرة بالتطور الخارجي "Evolionexterne" قائلا:«وهذا النوع من التطور بطيء غير أنه لا يعرف التوقف وهو يتناول اللون الخارجي للغة من حيث الأسلوب ومن حيث الدلالة المعنوية»[6].

ولعل الأجيال المتعاقبة كانت تحدث هذا التطور ويحصل في لغاتها ولكنها لا تفطن إلى هذا التبدل والتغير، وإن الناس لا يشعرون به وهم يتكلمون، فتسري سنة التطور في اللغة عبر القرون والأجيال حتى تحيل اللغة إلى لهجات محلية أو لغات تتميز الواحدة عن الأخرى بمميزات واضحة ظاهرة. وعليه فاللغة عرضة للتطور في مختلف عناصرها: أصواتها، وقواعدها، ومتنها، ودلالتها، وتطورها. هذا لا يجري تبعا للأهواء والمصادفات أو وفقا لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة مطردة النتائج، واضحة المعالم محققة الآثار. فليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص أو يسيروا في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي، فمهما أجادوا في وضع معجماتها، وتحديد ألفاظها ومدلولاتها وضبط أصواتها وقواعدها، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقا، وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور[7].

ونشير إلى أن سير التطور قد يكون إيجابيا، فربما لا تتطور اللغة نحو مستوى متقدم رفيع، بل تنزل إلى درك من التغير والتبدل تبعا للمستوى الحضاري والثقافي الذي عليه الأمة.

وفي هذا يقول إبراهيم السامرائي :«ومن أجل هذا نستطيع أن نقرر ما يسمى في كتب اللغة والنحو " لغة" من الاستعمالات غير المألوفة، أو قُل غير الصحيحة. تلك الاستعمالات التي نسبت إلى هذيل أو عقيل أو أسد أو طيء أو غير هؤلاء، لم يكن إلا من قبيل هذا التطور في اللغة»[8].

وفي هذا يقول أيضا ماريوباي:«إن الاتجاه الطبيعي للغة وبخاصة في صورتها الدارجة أو المكتملة هو اتجاه يبعدها عن المركز فاللغة تميل إلى التغير سواء خلال الزمان أو عبر المكان، إلى الحد الذي لا تُوقف تياره العوامل الجاذبية نحو المركز [...] هذه الخاصية العالمية للغة هامة لعالم اللغة التاريخي حيث إنها تشكل الأساس في كل تغير لغوي»[9].

كما يقول أولمان في هذا الصدد:«اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال بالرغم من أن تقديمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحايين، فالأصوات والتراكيب، والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطاع إلى آخر من قطاعات

اللغة، فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين لتكشف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة، من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة وإدراكها إدراكا تاما»[10].

والذي يبدو أن اللغويين القدامى لم تتضح في أذهانهم هذه القضية فلم يُعيروا تطور اللغة التفاتا، بل كان همهم هو تدوين اللغة القديمة، لغة الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي، كما كان شغلهم الشاغل هو تنظيم هذه المادة، مادة العربية الفصحى التي جمعها اللغويون الأوائل، في أنواع شتى من التنظيم والترتيب وكانوا ينظرون إلى هذا التطور على أنه نوع من المولد واللحن[11]. والحقيقة أن هناك إشارات إلى هذا التطور موجودة فيما يسمى بكتب "لحن العامة" وهي: عبارة عن رسائل صغيرة ألفت على مرّ العصور، في مختلف الأصقاع التي تتكلم اللغة العربية[12]. منها لأبي بكر الزبيدي فيما يلحن فيه عوام الأندلس في عصره.

وحاول مؤلفوا هذه الكتب إحصاء الأخطاء الشائعة على ألسنة العوام في زمانهم والبرهنة على خطئها بالرجوع إلى المادة التي جمعها اللغويون الأوائل من أفواه العرب. فيقول رمضان عبد التواب:«هذا ولم يحاول أولائك الذين ألفوا في "لحن العوام" أن يعللوا لنشوء هذا اللحن أو بعبارة أخرى لهذا التطور بل كانوا يعيبونه، ويتقززون منه، وينعون على أصحابه وقوعهم فيه»[13]. وقد فطن فيه إلى ذلك بعضهم كالخفاجي في كتابه "شفاء الغليل" حيث يقول:«اشَترَّت الدابة خطأ والصواب: اجترَّت [...] والأمر فيه سهل لقرب المخرج»[14].

فالخفاجي في قوله هذا قد تنبّه إلى انقلاب الجيم المعطشة إلى شين من أفواه الناس سببه قرب مخرج الصوتين من الآخر، فلم يقتصر على بيان الخطأ فحسب بل تعداه إلى التعليل. وهي _كما يقول رمضان عبد التواب_ نظرة سليمة يؤيدها الواقع اللغوي فإبدال الجيم شينا لغة لتميم [...] غير أن أمثال هذه الملاحظة كان نادرا لدى هؤلاء المؤلفين في لحن العامة[15].

2_ مجالات التطور اللغوي في العربية:

إن أنظمة اللغة كلّها معرضة للتطور والتغير بنسب متفاوتة، فأكثرها ثبوتًا وأقلها استجابة للتغير هما نظاما التركيب والتصريف، فأساليب التركيب وصيغ التصريف في العربية الفصحى مازالت محكومة بقوانين الفصاحة ومعاييرها المحفوظة منذ زمن الاحتجاج اللغوي[16].

تقول نور الهدى لوشن أن:« التطور اللغوي مفهوم حيادي، بمعنى أنه لا يحمل شحنة معيارية، ولا يمثل موقفا من الظاهرة اللغوية في حدّ ذاتها: لها وعليها، وإنما معناها أن اللغة تتغير إذا يطرأ على أجزائها_ بعضا أو كلا_ تبدل نسبي في الأصوات والتراكيب، وفي الدلالة على وجه الخصوص»[17].

لذلك سنركز أكثر على نظامي الصوت والدلالة:

أ- التطور الصوتي:

أ_1_ خصائص التطور الصوتي: ويتصف بخصائص كثيرة من أهمها[18]:

1_ إنه يسير ببطء وتدرج، فتطور الأصوات لا يحدث فجأة بل يحتاج إلى جيل أو أكثر لملاحظته.

2_ أنه تلقائي غير متعمد، ولا دخل لإرادة المتكلم في التغيير، كنطق "القاف" يختلف من مكان إلى آخر في لغة واحدة كالعربية مثلا.

3_ إنه غير فردي، فليس في وسع الفرد أن يفرض على الآخرين نطقا معينًا.

4_ إنه مطرد وجبري وليس اختياريًا.

5_ إنه محدود بمكان وزمان معينين، أي على بيئة خاصة.

أ_2_ **أقسام التغييرات الصوتية:** تنقسم التغييرات الصوتية إلى قسمين : التغييرات التاريخية، والتغييرات التركيبية.

أ-2-1- التغييرات التاريخية:

وهي تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتًا آخر[19]، كالجيم في اللغة العربية، أو تغير الأصوات في اللهجات العربية، وسنفرد له فصلا من الدراسة.

أ-2-2- التغييرات التركيبية:

وهي تلك التغييرات التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة، فهي لذلك مشروطة بتجمع معين، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغوية[20].

وأهم قوانين التغيرات التركيبية قانونان هما: قانون المماثلة وقانون المخالفة.

* **قانون المماثلة:** هي عملية توافق وانسجام تحدث بين صوتين متجاورين مختلفين في المخرج أو الصفة بتغير مخرج أحدهما أو صفته أو انتقاله إلى مخرج الآخر وصفته[21].

كما يمكن أن نشير إلى أن الصوت لا يمكن أن ينقلب إلى آخر بعيدا عنه في المخرج جدًا، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان إلى أصوات الحلق، وكذلك العكس[22]. وهذا ما أشار إليه ابن جني قائلا:« فأما قول من قال في قول تأبط شرًّا:

كَأَنَّمَا حَثْحَثُوا حُصًّا قَوَادِمُهُ أو أُمَّ حَشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاقِ

أنه أراد :حثّثوا، فأبدل من الثاء الوسطى حاء، فمردود عندنا»[23].

وذلك لأن الحاء بعيدة عن الثاء.

* **قانون المخالفة:**

وهو يعمد إلى صوتين متماثلين تمامًا في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر. يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة، أو المائعة المعروفة في الفرنسية باسم "liquida"، وهي: اللام والميم والنون والراء[24]. وهذا يحيل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال.

يقول أبو حية النميري[25]:

أبا الموتِ الموتِ الذي لا بُدَّ أنّي مُلاقٍ لا أَبَاكِ تخوِّفِيني

أي تخوفينني.

ب _ التطور الدلالي:

إنّ من يؤمن بحياة اللغة ومسايرتها للزمن، ينظر إلى هذا التطور على أنه ضرورة طبيعية دعت إليها الضرورة الملحة. والسبب في التطور اللغوي يرجع إلى عاملين رئيسين هما[26]:

1_ الاستعمال:

ذلك أن الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن من الزجاج أو البلور فيراها الناس من وراء تلك الخزائن ثم يكتفون بتلك الرؤية العابرة ! ولو أنها كانت كذلك لبقيت على حالها جيلا بعد جيل دون تغيير أو تحوّل ولكنها وُجِدَت ليتداولها الناس، وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية. وعلى هذا فاعتبار اللغويين الأقدمين اللغة الفصيحة مقصورة على المستعمل منها في لغة الشعر الجاهلي ولغة الصدر الأول من الدولة الإسلامية إنكارًا للغة ذاتها، وجعلها أشبه ما تكون بالتحفة الأثرية التي يحرص عليها ويحتفظ بها لأنها علق نفيس شأنها شأن سائر الأعلاق النفيسة[27]. وعليه فالأجيال الناشئة لم ترث اللغة على حالها الأول، وإنما ورثتها مع بعض الانحراف في الدلالة، ثم تضخم هذا الانحراف بتوالي الأزمنة والعصور. وأهم ما ساهم في هذا العامل الرئيس ما يلي:

أ_ **سوء الفهم:** وهي تجربة قد يمر بها أي إنسان كأن يسمع لفظا للمرة الأولى فيسيء فهمه، ويوحي إلى ذهنه دلالة غريبة، قد لا تمت بأي صلة لما في ذهن المتكلم، ثم لا تتاح له فرصة لتصحيح خطئه ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطا بتلك الدلالة الجديدة، وليس من غير الشائع أن تتم هذه الظاهرة بين عدد من الأفراد كلهم يسيئون فهم الدلالة بطريقة واحدة، ويتجهون في فهمها اتجاها واحدا مما يساعد على تطور اللفظ تطورا مفاجئا يرثه الناشئ ويركن إليه. رغم أن الحادث غير مقصود. لكن عادة ما نجد هذا في البيئات البدائية.

ب_ **بلى الألفاظ:** حين يصيب اللفظ بعض التغير في الصورة، ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته، فتختلط الدلالتان، ويصبح اللفظ مما يسمى بالمشترك اللفظي، فتطور "السين" في كلمة مثل "السغب" إلى حرف مناظر لها في المخرج والهمس "كالتاء" ينتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المماثلة كلمة أخرى موجودة فعلا تعني "الدرن والوسخ" وهي كلمة "التغب" ويترتب على التطور الصوتي تطورا دلالياً هو أن يصبح للفظ الواحد أكثر من دلالة واحدة.

2_ الحاجة: نعلم أن العربية شهدت مرحلتين من التغير أو التطور وهما[28]:

أ_ **التطور الداخلي:** كان في شبه الجزيرة العربية وأطرافها، قد تم ذلك على يد أبنائها الذين تأهبوا لمغادرتها عندما خرجوا فاتحين لنشر الدعوة الإسلامية.

ب_ **التطور الخارجي:** كان في الأمصار المفتوحة، وتم ذلك على يد الشعوب التي جرت العربية على ألسنتها فتلونت بهم كما لونتهم، وخضعت لهم كما أخضعتهم وكان لذلك أثر في بنية اللغة صوتيا وصرفيا.

فانتشار العربية في بقاع واسعة على المستويين الداخلي أدى إلى التأثر والتأثير، ومن الطبيعي أن ينال هذه اللغات شيء من التغيير، والتحريف على ألسنة هؤلاء المحدثين الذين لم تتعود ألسنتهم على أصواتها وطرق نطقها.وفي هذا يقول إبراهيم السامرائي:«وقد تعدى هذا الانحراف هؤلاء الجدد والمحدثين إلى العرب أنفسهم [...] وإذًا الانحراف يتسع شيئا ما حتى يستحيل مع الزمن إلى لون لغوي خاص متميز في نطاق العربية الواسع»[29]. لهذا هناك نوع من التطور يكون وليد الحاجة إلى التجديد في التعبير وهو الذي يقصد إليه قصدا، غالبا ما يكون الدافع إليه هو التطور الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي إلى جانب الحاجة إلى ألفاظ اللغات الأجنبية والاستعارة منها.

وكان اهتمام النقاد بهذا الجانب عظيما. فهذا ابن رشيق القيرواني يقول:«ومن الناس من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كابن الرومي، وأبي الطيب المتنبي »[30].

والأخذ بهذا الحد في تمييز الفصيح من غيره جعلهم ينكرون الاستعمالات الجديدة التي شاعت في أدب جماعة المبدعين، فقد أنكروا على أبي تمام استعماله "ماء الملام" في قوله[31]:

لاَ تَسْقِنِي مَاءَ المَلاَمِ فَإِنَّنِي صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي

فقد قيل أن أحد الظرفاء جاء إلى أبي تمام وسأله أن يعطيه قارورة من "ماء الملام" فقال له أبو تمام: لا أعطيك ما سألت حتى تأتيني بريشة من جناح الذل[32]. مشيرا إلى الآية الكريمة:**﴿واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾** (الإسراء الآية 24).

فهذه إشارة واضحة لطبيعة التطور اللغوي، فهو يريد أن يقول:«إن لاستعمال المجاز في العربية ضروبا من الإبداع والابتكار، فكما أن لغة التنزيل ابتكرت المجازات الدقيقة اللطيفة كذلك كان حقّ الشاعر المبدع أن يبتكر في استعمال المجازات. واللغة كما هو معروف ضرب من المجاز»[33].

والأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة وقد أوردها الآمدي في كتابه "الموازنة" فهذا أبو العباس ينكر على أبي تمام قوله:

رَقِيقُ حَوَاشِي الحِلمِ ولو أن حلمَهُ بكفيك مَا مَاريتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ

وقال :«هذا الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت»[34] ولم يعلل ذلك القول. والخطأ في هذا البيت ظاهر، يقول الآمدي:«ما علمت أحدا من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرِّقة وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة، ونحو ذلك قول النابغة:

وأَعْظَمُ أَحْلَامًا وأكثَرُ سَيِّدًا وأَفْضَلُ مشفُوعًا إليه وشَافِعَا»[35].

فالشاعر محكوم بالنظام اللغوي العام للغة التي يستخدمها في شعره، ذلك أن بعض شعراء العربية القدامى، عندما كان يحيد عن هذا النظام فيخطئ في تحكيم قوانينه، ثم يفطن بخطئه، أو يفطن هو إليه، فإنه كان يبادر إلى تصحيح ما وقع فيه من أوهام البعد عن النظام العام للغة[36].

وهذا ما نجده أيضا عند النابغة الذبياني وقصته في إقوائه في القصيدة التي قالها في "المتجردة" زوجة النعمان بن المنذر. والتي مطلعها:

مِنْ آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أو مُغْتَدِ عَجْلَانَ ذا زادِ وغير مُزَوَّدِ

ويقول فيها:

زَعَمَ البوارِحُ أَنَّ رحلتنَا غدًا وبذاك خبَّرنَا الغُرَابُ الأسْوَدِ

ويزعم الرواة أن النابغة قال هذا البيت بضم الدال من كلمة "الأسود" ولكنَّ المعقول أن يكون كسرها لينسجم مع الروي، وموسيقى الأبيات، وبذلك يكون قد أخطأ في قواعد اللغة بسبب انشغاله بموسيقى الشعر وأنغام القوافي لذلك لما قَدِمَ إلى المدينة عيب ذلك عليه، فلم يأبه له فأسمعوه إيّاه في غناء، فقالوا للجارية:«إذا صرت للقافية فرتلي، فلما قالت "الغراب الأسود" و"باليد" علم فانتبه فلم يعد فيه. وقال: قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت عنه وأنا أشعر الناس»[37]، فالنابغة فطن لخطئه وغيّره عقب ذلك فجعل عجزه: **(وبذاك تَنْعَابُ الغُرَابِ الأسودِ)**[38]

يبقى آخر المطاف للعربية ظرفا لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم وهي أنها ارتبطت بالقرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، ودُوِّنَ بها التراث العربي الضخم، الذي كان محوره هو القرآن الكريم في كثير من مظاهره[39]، ولولاه لأمست العربية الفصحى لغة أثرية، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية ولسادت اللهجات العربية. وعليه فاللغة العربية ظاهرة طبيعية كغيرها من الظواهر التي ينتابها التغيير أو ما يسمى بالتطور سلبا أو إيجابا فينتابها الخطأ والغلط والتوهم واللحن ...

ب_2_ مظاهر التطور الدلالي:

ما دامت اللغة تُستَعْمَل فهي تؤثر وتتأثر، وهذا الاستعمال يُعرضها لعدة مظاهر منها[40]:

_ تخصيص الدلالة: (تضييق المعنى):

والمراد به تضييق مجال استخدام الدلالة الأولى، والخروج بها من معنى عام إلى معنى خاص، بحيث يتعارف الناس على دلالة معينة للفظة ومع مرور الزمن تصبح دلالة اللفظة واضحة محددة، مثلا الألفاظ الإسلامية كالصلاة والصيام والحج استعملت قبل ظهور الإسلام بمعان عامة، ثم خصصها الإسلام بمجالات معينة

_ تعميم الدلالة:(توسيع المعنى):

هو عكس اتجاه التخصيص، فهو يعني تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل. نحو الورطة بمعنى الهلاك، وأصلها: الوحل تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص، وقيل أصلها أرض مطمئنة، لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص، ثم استخدمت في كل شدة[41].

ـ انتقال الدلالة: ويقصد به انتقال اللفظ من دلالته المألوفة والواقع إلى شيء مجازي، فكلمة الغيث تستعمل أصلا للمطر. وقد استعملت للنبات الذي ينشأ عن المطر فيقال: رعينا الغيث.

ـ انحطاط الدلالة: حيث تفقد بعض الألفاظ التي تدل على معاني شريفة أو قوية شيئًا من رونقها وهيبتها في ذهن الناس لكثرة دورانها وشيوعها، ولأسباب سياسية واجتماعية ونفسية. فكلمة الأعور وضعت لتدل على قوة البصر، والآن صارت شتيمة.

وأخيرا وجدنا أن اللغة العربية خاضعة إلى التطور اللغوي في كل مستوياتها الصوتية، والتركيبية،والدلالية، والمعجمية، كما أن التطور يكون إيجابي أو سلبي، وسيره بطيئا. فاللغة العربية لها خصائص تميزها عن غيرها.

1- التطور الدلالي في مصنفات اللحن حتى القرن العاشر الهجري، أحمد محمد قدور، إشراف: مازن المبارك، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة دمشق،1408 هـ-1988 م، ص :11.
2- ينظر: اللسان والإنسان، حسن ظاظا، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط2، 1990م، ص: 93.
3- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، دط، 1998 م، ص:255.
4- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة (طار)، دار الدعوة استانبول، تركية، دط، 1889م، 3/ 570.
5- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الجديد، د ط، 2008م، ص :193.
6- التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت-لبنان، ط3، 1983م، ص :27.
7- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ-1997م، ص :10.
8- التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، ص: 29.
9- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، ط8، 1419هـ-1998م، ص: 71.
10- دور الكلمة في اللغة، أولمان، ترجمة: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، دت، ص: 178 .
11- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي، تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط1، 1417هـ-1997م، ص: 5 .
12- ينظر: لحن العوام (المقدمة)، الزبيدي، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1420هـ-2000م، ص: 6.
13- نفسه، ص: 7.
14- شفاء الغليل، الخفاجي، قدم له وصححه: محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 1418هـ-1998م، ص: 69.
15- لحن العوام، الزبيدي، ص: 7.
16- علم اللسان العربي، عبد المجيد مجاهد، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، دط، 2010، ص: 265.
17- مباحث في علم اللغة، نور الهدى لوشن، ص: 194.
18- ينظر: علم اللسان العربي، عبد المجيد مجاهد، ص: 265، 266.
19- التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص: 24.
20- نفسه، ص: 29 .
21- علم اللسان العربي، عبد المجيد مجاهد، ص: 273.
22- ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص: 31.
23- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428ه-2007م، 1/193،192.
24- ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص: 57.

–[25] الخزانة، البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418ه، 1998م، 4/ 92.
–[26] ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1997م، ص : 134 ، 145.
–[27] التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، ص :45.
–[28] العربية تطور وتاريخ، كريم زكي حسام الدين، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1422هـ–2002م ، ص: 132.
–[29] التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، ص: 30.
–[30] العمدة، ابن رشيق القيرواني، قدم له: صلاح الدين الهواري وهدى عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت–لبنان ، ط1، 1416هـ–1996م، 1 / 223.
–[31] شرح ديوان أبي تمام، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، ط1، حزيران 1981م، ص: 17.
–[32] التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، ص: 45 .
–[33] نفسه والصفحة.
–[34] الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط4، دت، 143/1.
–[35] نفسه، 143/1 .
–[36] دراسات وتعليقات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1414هـ–1994م، ص:211.
–[37] الموشح، المرزباني، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص: 45.
–[38] دراسات وتعليقات في اللغة، رمضان عبد التواب، ص: 212.
–[39] ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص: 12.
–[40] ينظر: فصول في علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرُّويني، عالم الكتب، بيروت– لبنان، ط 1، 1423هـ– 2002م، ص: 259، 261.
–[41] ينظر: علم الدلالة، فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1419هـ–1999م، ص: 76، 77.